Archaeological Inscription
Print ISSN:2974-4016
Online ISSN:2974-4024

آثار ونقوش العراق وشبه الجزيرة العربية في ضوء كتابات الرحالة الغربيين

د. علي عفيفي علي غازي

الاستاذ المشارك بالجامعة الإسلامية بمنيسوتا
afifyhistory@hotmail.com

Article information

Received: 12/2022 **Accepted:** 2/2023

Pages: 327-348
Vol: 1 (2023)
DOI: 10.21608/archin.2023.295291

Abstract:

Iraq was given special attention from western travelers because it was the cradle of one of the ancient civilizations in the Near East, in addition to its significant geostrategic position. A number of travelers came successively to Iraq in order to examine the antiquities of that civilization and to enjoy seeing the high buildings and huge palaces built by ancient people.

For this reason, the writings of some travelers were so important in shedding light on the antiquities of Iraq. Such antiquities gained a special attention from a number of those travelers; some of whom were interested in tracing and excavating them, and some others described them in writing and illustrated them in drawings, while others were keen to collect antiques and objects in order to take them home.

Yet, specialists among them were interested in studying these antiquities in-depth. This article aims at briefly shedding light on the interest of a number of Western travelers in the antiquities of Iraq, as each traveler had to make a separate research (there is no room to mention them all of them in here), such as PietroDelavalier, Joseph Buchan, Claudius Rich, Austen Layard, Adolfo Rivadeneyra, Nicolas Siouffi, Charles Huber, Jane Dieulafoy, Julius Euting, Max Oppenheim, Gertrude Bell and Mary Chubb.

الملخص:

حازت شبه الجزيرة العربية والعراق اهتمامًا خاصًا من الرحالة الغربيين، لأنها بالإضافة لموقعها الجيوستراتيجي المهم، كانت موطن إحدى الحضارات القديمة في الشرق الأدنى، ومن ثم توافد عليها عددٌ من الرحالة؛ بهدف الكشف عن آثار تلك الحضارة، والتمتع بمشاهدة ما شيده القدماء من أبنية سامية، وقصور ومعابد.

ومن هنا تأتي أهمية كتابات بعض الرحالة الغربيين في تسليط الضوء على آثار العراق ونقوشها، التي حظيت باهتمام خاص من عدد لا بأس به من الرحالة، بعضهم اهتم بالبحث والتنقيب عنها، والبعض الآخر كتب عنها وصفًا، ونقل منها صورًا ونقوشًا، وآخرون حرصوا على جمع التحف والعاديات، ونقلها معهم إلى أوطانهم، بينما اهتم آخرون بدراستها دراسة معمقة، لأنهم كانوا من المتخصصين.

ومن ثم يهدف البحث إلى تسليط الضوء، بصورة مختصرة، على اهتمام عدد من الرحالة الغربيين بآثار العراق، إذ إن كل رحالة منهم بحاجة إلى بحث مستقل، ناهيك عن بعض وريقات قليلة، ومنهم: بيترودليلافاليه، جوزيف بوشان، كلوديوس ريج، أوستن لايارد، أدولفوريفادينيرا، نيقولا سيوفي، شارل هوبير، جين ديولافوا، يوليوس أويتنج، ماكس أوبنهايم، جيرترود بيل، ماري تشب.

Keywords:

Iraq, Western Travelers, Antiquities, Ancient Civilizations and Near East.

الكلمات المفتاحية:

العراق، الرحالة الغربيون، الآثار والنقوش، الحضارات القديمة، الشرق الأدنى.

المقدمة:

يتوافد على الشرق منذ فجر العصور التاريخية من الرحالة الغربيين ما يصعب إحصاؤه، تعددت هُوياتهم، وأهدافهم، وتباينت شخصياتهم، وطبقاتهم الاجتماعية، فمن بينهم: رجل الدين، والعالم، والطبيب، والسياسي، والجغرافي، والآثاري، والتاجر، والسائح، والأديب، والشاعر، والفنان، والرسام، والجاسوس، والمبعوث السياسي، وذي الألقاب من أفراد الطبقة الأرستقراطية، والأمير، والكونت، والفيكونت، والبارون، والقائد الحربي، والضابط العسكري، وصاحب الدعوات الإنسانية، قدموا من مختلف المشارب والاتجاهات، هاموا بالشرق، وعشقوا حياته الرومانسية المفعمة بشاعرية القرون الوسطى، وعبق التاريخ، وعذرية صحرائه المثيرة المليئة بالأسرار، وافتتنوا بآثاره.

تفاوتت أهدافهم، وتنوعت شخصياتهم، واختلفت مصادر تمويلهم، يُقيمون ردحًا من الزمن، ويوردون انطباعاتهم، التي صارت رافدًا مهمًا للكتابة التاريخية، واهتم جُلهم بآثار الشرق، فجاسوا في ديار العرب تنقيبًا، وبحثًا عنها في كل الأرجاء، وقام بعضهم بجمع الكثير من هذه الأثار، ونقلوها إلى متاحف الغرب.

يستعرض البحث، من خلال المنهج التحليلي، دور بعض الرحالة الغربيين في الاهتمام بآثار العراق وشبه الجزيرة العربية، والكشف عنها، ونقلها إلى متاحف الغرب، إذ على الرغم من تعدد دوافع الترحال عند الرحالة الغربيين، إلا أنها لم تسلم من التوظيف لأغراض استعمارية، وجُندت لتحقيق المصالح الإمبريالية والكولونيالية تمهيدًا للغزو العسكري أو الثقافي، حتى ما كان منها مُتشحًا بثوب البحث العلمي أو الأثري أو التاريخي. وبناء على ذلك يُمكن تصنيف الرحالة إلى مُغرضون، وآخرون مُنصفون، ونوع ثالث يستهدف السياحة والمتعة، ويُمكننا الوقوف على أغراضهم بتعقب كتاباتهم ومؤلفاتهم، واخضاعها للنقد، ومن ثم استظهار العبارات التي تكشف عن نواياهم بشكلٍ غير مباشر[١].

ترجع أسباب اهتمام الرحالة الغربيين بالشرق عامة، والعراق وشبه الجزيرة العربية بخاصة، إلى أن هذه المنطقة تُشكِّل مصدرًا ثريًا لحضارات بائدة تدل عليها الآثار البادية للعيان، فضلًا عمّا فيها من مخطوطات في شتى صنوف المعرفة، فقد اجتذبت هذه المنطقة منذ أقدم العصور العديد من الرحالة والمستشرقين، لما لها من شهرة واسعة، وصيت ذائع في عوالم الحضارات والآثار، وما ورد عنها من أخبار وحوادث في الكتب المقدسة، فقد كانت بلاد الرافدين مسرحًا لحوادث تاريخية جسام، وموطنًا ازدهرت فيه حضارات عديدة، ولعبت بعض حواضرها وأقاليمها أدوارًا خطيرة في ميادين الثقافة والسياسة والفنون والآداب، فكانت بغداد قبلة الشرق أيام ازدهار الحضارة، ولقد صنع سحر بغداد فعله في نفوس الكثيرين، فشد إليها الرحالة من مختلف أصقاع الأرض سائحين وزائرين.

---

[١] جبر (يحيى): ***شمال شبه الجزيرة العربية في مصنفات الرحالة." في كتاب دارة الملك عبد العزيز: الرحلات إلى شبه الجزيرة العربية***، ج١، دارة الملك عبد العزيز، الرياض ٢٠٠٠، ص ٢٩٣- ٢٩٤.

وجذبت الموصل لموقعها الجغرافي ومركزها التجاري ومكانتها الثقافية الكثير من الرحالة العرب والأجانب[١]. وحظيت الجزيرة الفراتية بعناية عدد من الدراسات الأجنبية، وساقت الرحلات إليها عددًا من المستكشفين[٢]، كذلك أحاط منطقة الحجاز هالة عند الغربيين دفعتهم للذهاب إليها متنكرين في محاولة منهم للوقوف على حقيقة الحرمين الشريفين، ومناسك الحج والعمر عند المسلمين. كل هذه الأمور كانت تُلهب مشاعر قراء أدب الرحلات، وتدفعهم إلى المزيد من طلب المعارف والمعلومات؛ للوقوف على أحوال العراق وشبه الجزيرة العربية بخاصة، والشرق عامة[٣].

تدفع الدوافع الثقافية الرحالة الغربيين إلى الشرق عامة، والعراق وشبه الجزيرة العربية بخاصة؛ لأجل التجول، والتنقيب عن الآثار الخالدة، ومشاهدة ما شيده الأقدمون من الأبنية السامية، والقصور الفخمة، فيؤلف الرحالة كُتبًا مُزينة بالرسوم والصور، مُحتويًا على جميع ما شاهده، وسمعه من غريب الحكايات، واصفًا الآثار، وترجمة ما يجده مكتوبًا على صخورها، وذكر الأعراب النازلين حولها، والنازحين عنها، وأنسابهم وشيوخهم، وآدابهم ومعاشرتهم ومهنهم، ولا يقصد من هذا كله إلا خدمة أبناء قومه، ويكتسب كذلك شهرة تخوّله المنزلة العليا بين أقرانه، ويُخلد أثرًا يذكره الناس به[٤].

وقد تكون دوافع الرحالة لأجل التعرّف على المعالم الشهيرة كالآثار والمنارات والأبراج، أو الكهوف والغرائب والعجائب، والوسيلة المُثلى لاكتشاف الجغرافيا والتاريخ معًا[٥].

وقد قصد الرحالة النمساوي ألويز موزيلAloisMusil (١٨٦٨-١٩٤٤) المنطقة العربية؛ بهدف "دراسة بعض المباني القديمة والآثار العتيقة من المنظور العلمي"[٦]. ولم يكن الرحالة الألماني يوليوس أويتنجJulius Euting (١٨٣٩-١٩١٣) ببعيد عن الهدف العلمي في رحلته، حيث حصل من خلالها على آلاف النقوش الآرامية والنبطية والسبئية واللحيانية، ونشرها في مؤلفات عديدة[٧]، وعن هدفه يقول: "اقتربنا الآن أكثر من بنايات المقابر الرائعة في مدائن صالح ذات النقوش النبطية الطويلة على واجهاتها، والتي من أجلها كان الهدف الرئيس لرحلتي إلى جزيرة العرب"[٨].

---

[١] قاشا (سهيل): ***الموصل في مذكرات الرحالة الأجانب خلال الحكم العثماني***، بغداد ٢٠٠٩، ص ٧.

[٢] باديا (دومنجو): ***رحلة إسباني في الجزيرة العربية رحلة دومنجو باديا (علي باي العباسي) إلى مكة المكرمة سنة ١٢٢١هـ/ ١٨٠٧م***، ترجمة: صالح بن محمد السيدي، الرياض ٢٠٠٨، ص ٧.

[٣] نيبور (كارستن): ***رحلة نيبور إلى العراق في القرن الثامن عشر***، ترجمة: محمود حسين الأمين، بغداد ١٩٦٥، ص ٣.

[٤] الدجيلي (كاظم): ***السائح الغربي في العراق العربي***، مجلة لغة العرب، الجزء ٧ (١٩١٤)، ص ٣٦٦.

[٥] منصور (محمد): ***أدب الرحلات النبيلة***، الرياض ٢٠١١، ص ٩-١١.

[٦] صابان (سهيل): ***تصاريح السفر للرحالة المستشرقين إلى الجزيرة العربية من خلال الوثائق العثمانية***، مجلة مكتبة الملك فهد الوطنية، المجلد ٩، العدد ١ (٢٠٠٣)، ص ٢٢٢-٢٢٤.

[٧] الشيباني (محمد): ***أهداف الرحالة الغربيين في الجزيرة العربية***". ***في كتاب دارة الملك عبد العزيز: الرحلات إلى شبه الجزيرة العربية***، ج١، دارة الملك عبد العزيز، الرياض ٢٠٠٠، ص ٥٤٨.

[٨] أوتينج (يوليوس)؛***رحلة داخل الجزيرة العربية***، ترجمة: سعيد بن فايز ،الرياض١٩٩٩، ص ٢٢٠.

Euting (Julius): ***Tagbucheinerreise in Inner Arabien***, Leiden 1896.

أما الرحالة الفرنسي قسطنطين فرانسوا فولنيConstantin François Volney (١٧٥٧-١٨٢٠) فيقول عن دافعه: "رأيت في ثروتي وسيلة جديدة لإرضاء نزعتي، وفتح آفاق أوسع لثقافتي، وكنت قد قرأت وسمعت بالترداد أن السفر أنجع الوسائل؛ لتجميل العقل، وتهذيب قوته المميزة، فصممت على السفر"[١].

أهمية الموضوع:

يلعب الاستشراق دورًا فاعلًا في دفع عدد كبير من الرحالة لزيارة الشرق، لدراسة واقعه السياسي والاقتصادي والديني والثقافي والآثاري. وإذا كان المقصود بالمستشرق هو من يهتم بالدراسات الشرقية، فإن كتابات الرحالة تُعتبر جزءًا لا يتجزأ من الاستشراق[٢]، وآثار المستشرقين تُعتبر حلقة مهمة من تراث الإمبراطوريات المستعمرة، التي كانت ترغب بتوطين نفسها في المستعمرات أطول مدة ممكنة[٣]. ولما ازداد رخاء أوروبا بعدما تدفقت عليها خيرات مستعمراتها، اتسعت آفاق العلم وازدادت الرغبة في المعرفة، فنشطت حركة الاستشراق في كثير من البلاد الأوروبية، وتوجهت عنايتهم إلى دراسة التراث العربي، وأحوال العرب وبلادهم، وتاريخهم وآدابهم وآثارهم[٤].

وتأتي أهمية كتابات الرحالة لإكمال الصورة العامة للعرض التاريخي عن مجتمع ما، في وقت ما؛ كونها تحتوي على ما يتعلق بقيمه وخصاله وأخلاقه، وهي جوانب يصعب أن يعثر عليها المؤرخون في غير كتابات الرحالة. ولولا الكتابات التي قدمها الرحالة لفاتنا الكثير مما لم تتضمنه الوثائق من عادات الشعوب وتقاليدها، وتطور أنشطتها وثقافاتها[٥]. فإن ما دونه هؤلاء وكتبوه عن الأحوال الاجتماعية والتاريخية والآثارية والجغرافية يُعتبر ثروة تاريخية وأدبية جليلة الفائدة، ومصدرًا من أوثق المصادر.

فمهما تعددت أغراض الرحالة الغربيين ومراميهم، كان يجمعهم هدفًا واحدًا، هو الولوج إلى مجاهيل الشرق، ودراسة أحواله، وجمع المعلومات عنه[٦]. وعادة ما تكون المادة، التي يقدمها الرحالة مزودة بالصور والرسوم والخرائط، فضلًا عن الحكايات المسلية، والمعلومات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والجغرافية والتاريخية والآثارية، التي يُمكن إعادة توظيفها بمنهجية علمية حديثة، تُساعد على فهم المجتمعات في الماضي[٧]، وذلك بعد إخضاعها للنقد الظاهري والباطني أو ما يُعرف عند المسلمين بالجرح والتعديل، للتثبت من من نوايا وأهداف الرحالة من رحلته، وكذلك قراءة فكره وأيديولوجيته التي انطلق منهما، وإذا ما جنبنا ذاتية

---

[١] فولني (س. ف): *ثلاثة أعوام في مصر وبر الشام*، ترجمة: إدوار البستاني، بيروت ١٩٤٩، ص ٧، ٨.

[٢] يُعتبر كل رحالة مستشرق، ولكن ليس كل مستشرق رحالة، فالمستشرق هو من يهتم بالدراسات الشرقية، وقد يكون اهتمامه هذا من دون أن ينطلق في رحلة، ومن ثم لا يمكن ان نعد كل المستشرقين رحالة، ولكننا يُمكننا أن نعد كل رحالة مستشرق.

[٣] آن بلنت (الليدي): ***قبائل بدو الفرات عام ١٨٧٨***، ترجمة: أسعد الفارس؛ نضال خضر ، دمشق ١٩٩١، ص ٧.

[٤] الصياد (محمد): ***الرحالة الأجانب في الجزيرة العربية قبل القرن التاسع عشر***، مجلة الدارة، العدد الثالث (١٩٧٧)، ص ١١٨.

[٥] حجر (جمال): ***الرحالة الغربيون في المشرق الإسلامي في العصر الحديث***، الإسكندرية: ٢٠٠٨، ص ١٩١- ١٥.

[٦] نيبور: ***رحلة نيبور***، ص ٥.

[٧] غازي (علي): ***كتابات الرحالة مصدر تاريخي.*** "***كتاب المجلة العربية ٢٦٢***، الرياض ٢٠١٨، ص ٧١- ٧٢.

الرحالة سنستقي من كتاباته مادة تاريخية مهمة عن المجتمعات التي زارها وقت زيارته لها، ووقت تدوينه لكتاباته، لأنه يُمسك بالحدث لحظة وقوعة؛ كما تفعل كاميرا الصحفي في عصرنا.

تُسهم كتابات الرحالة في تعريف الغرب بالشرق، إذ تُقدم تقارير وصور دقيقه عن أحواله سهلت مهمة الاستعمار، ورغم ذلك قدم الرحالة خدمة جليلة للمناطق، التي ارتادوها، وذلك بإبراز معالمها، والكشف عن ما خفي من آثارها، والتعرّف على معانيها، وتكويناتها الجيولوجية، ومظاهرها الجغرافية، والتعرّف على الحياة الاجتماعية بأدق تفاصيلها، وأوضاعها السياسية والاقتصادية. وتذخر مكتبة هذا الأدب برحلات الآثاريين المنقبين، الذين شغفتهم الآثار حبًا، فتعلقوا بشواهد الحضارات السالفة، التي تحكي للأجيال أعمالًا خالدة.

وقد يعتقد البعض أن الاهتمام بآثار العراق وشبه الجزيرة العربية قد استحوذ على الرحالة الآثاريون فقط، إلا أننا نعثر كذلك على ما يؤكد اهتمام معظم الرحالة، الذين مروا بالمنطقة، بآثارها، وذلك بين ثنايا سطور التقارير والمؤلفات، التي كتبها الموظفون الرسميون لدى حكوماتهم، كالسفراء والقناصل والعسكريين، والمقيمين السياسيين، وممثلي الشركات التجارية، والأطباء والمبشرين والجواسيس، وضباط الاستخبارات العسكرية، والمستشارين الخاصين، وعلماء الأنثربولوجيا (علم دراسة الإنسان) والأثنولوجيا (علم دراسة أصول الإنسان وثقافته) واللغات القديمة والنقوش والنُميات (المسكوكات والنقود)[١].

أهم الرحالة الغربيين:

وفي ما يلي سنستعرض دور بعض الرحالة الغربيين في الكشف عن آثار العراق وشبه الجزيرة العربية، وجهود آخرين في الاهتمام بجمعها، ونقلها معهم إلى مواطنهم الأم، وتأسيس بعضهم لمتاحف خاصة، عرضوا فيها ما جمعوه أثناء رحلاتهم في الشرق عامة، والعراق وشبه الجزيرة العربية بخاصة، كما أن بعضهم نقل ما جمعه إلى المتاحف العامة، وفي الوقت نفسه لا نُغفل أنه كان لبعضهم دور جليل في الكشف عن آثار الشرق، ومحاولة فك رموز كتاباته، وسعى البعض إلى تأسيس متاحف وطنية بالمنطقة كجيرترود بيل، التي لا يُمكن اغفال دورها في تأسيس متحف بغداد، الذي كان أول متحف للعاديات في بغداد بخاصة، والعراق عامة.

يقودنا ذلك إلى الإشارة إلى أن تأسيس أول متحف عرفه التاريخ يعود إلى الملك الكلداني نبوخذ نصر الأول (٦٠٤-٥٦٢ ق. م.)، الذي خصص بقصره قاعة لعرض التحف الفنية. وأسس الملك بطليموس الأول (٣٢٣-٢٨٥ق. م.) ضمن مكتبة الإسكندرية جناحًا عرض فيه عدد من التماثيل والأدوات العلمية[٢]. أما في التاريخ الحديث فيعود إنشاء أول متحف إلى القرن الرابع عشر الميلادي، حيث برزت أهمية مجموعات الأمراء، كمجموعة دوق بيري[٣].

---

[١] السنجري (عمار): ***البدو بعيون غربية***، الدار البيضاء ٢٠٠٨، ص ٢٩.

[٢] غازي (علي): ***مكتبة الإسكندرية قديمًا وحديثًا***، مجلة التسامح، العدد ٢٨ (٢٠٠٩)، ص ٤٣٨-٤٤٦.

[٣] هو شارل فرديناند دوق بيري Charles-Ferdinand d'Artois (١٧٧٨-١٨٢٠)، ابن شارل العاشر، ملك فرنسا (١٨٢٤-١٨٣٠).

أما أول مجموعة مقتنيات فردية تخصص للعامة فكانت من قبل البابا سيكستوس الرابع Sixtus IV (١٤١٤-١٤٨٤)، الذي تبرع بها في عام ١٤٧١ لشعب روما، وكانت عبارة عن مجموعة من المنحوتات المهمة، وحملت اسم "متاحف كابيتولين"، ومن بعده خصص البابا يوليوس الثاني Giulio II(١٤٤٣-١٥١٣) في عام ١٥٠٦ مجموعة من المنحوتات تحولت فيما بعد إلى متحف الفاتيكان، ثم متحف الأسلحة في برج لندن عام ١٦٩٢، والذي يعتبر أقدم متحف في بريطانيا.

وافتتح المتحف البريطاني British Museum عام ١٧٥٩ في احتفال مهيب قام به البرلمان؛ تنفيذًا لوصية السير هانز سلون Hans Sloane (١٦٦٠-١٧٥٣) الطبيب الملكي، الذي أهدى مجموعات من التحف والقطع الفنية لبلاده. أما متحف اللوفر في باريس فقد افتتح عام ١٧٩٣ إبان الثورة الفرنسية، والذي يعتبر أول متحف وطني في أوروبا يفتح أبوابه للعامة[١].

بيترو ديللافاليه

يُصبح قصر الرحالة الإيطالي بيترو ديللافاليه Pietro Della Valle (١٥٨٦-١٦٥٢) في روما بعد عودته من رحلاته في الشرق مطلع القرن السابع عشر (١٦١٦-١٦٢٦) متحفًا يقصده الكثيرون لرؤية المؤمياء الفرعونية، والآثار والأزياء، التي حملها معه من البلاد، التي تطوّف بها، بالإضافة لعدد كبير من المخطوطات الشرقية. فقد سافر في ١٥ سبتمبر ١٦١٥، إلى مصر، حيث زار آثار الفراعنة، ودخل الأهرامات، وصعد جبل طور سيناء، وبعد أن حج بيت المقدس، قرر السفر إلى الهند، ويمر بالبصرة في طريق عودته من الهند إلى بلاده، ومنها إلى حلب عبر البادية العراقية والشامية، وكانت سفرة شاقة في فصل الصيف القائظ، تستغرق سبعين يومًا، ومن حلب إلى الإسكندرية، ثم يُبحر إلى نابولي؛ لينطلق إلى روما، فيصلها في ٢٨ مارس ١٦٢٦.

يقول ديللافاليه، عن سبب رحلته "كان يدفعني شوق شديد منذ زمن طويل للتوغل في الشرق خاصة، بعد أن وصلت إلى حلب؛ فأزور تلك الأقطار، التي طالما سمعنا عنها، وأطلع على أمور كثيرة جديرة بالاهتمام، وأتمحصها بنفسي لإشباع رغبة كانت كامنة في نفسي منذ كنت في إيطاليا". وهكذا لم يكن ديللافاليه يسعى إلى الصفقات التجارية، والربح المادي، ولم يكن رجل دولة؛ بل كان حاجًا وباحثًا، يُحاول النسيان، ويطلب العلم، ولم يأبه للمال، فقد كان غنيًا، لهذا لم يتسرع في ترحاله؛ لأنه يُريد الأطلاع على الآثار، والاختلاط بالناس، والتعرّف على كبار القوم، وعلمائهم، والشخصيات الحاكمة، وبحث عن الكتب القديمة النادرة، وتعمق في اللغات العثمانية والفارسية، وألم بالعربية والكلدانية والقبطية، إلى جانب معرفته باليونانية واللاتينية.

يهتم ديللافاليه في طوافه في الشرق بفحص أخربة المدن القديمة، فقد كان عالمًا أثريًا، إلى جانب حبه للتجوال، وهو أول من نقل إلى أوروبا صفائح الأجر المنقوش عليها بالخط المسماري، والتي تُسمى رُقُمًا طينية.

[١] المالح (رشا): ***المتاحف تكسر دورها التقليدي وتواكب العولمة***، **صحيفة البيان**، ١٧ أبريل، ٢٠١١.

ويقتني خلال رحلاته مخطوطات عديدة عربية وسريانية وقبطية وتركية وفارسية، يذكر بعضها في سياق كتاباته، وقد آلت هذه المخطوطات بعد وفاته إلى خزانة الفاتيكان. وكان قد اصطحب معه رسامًا فلمنكيًا[١]، رسم لوحات عديدة، نوه ببعضها في رسائله، منها: صورة الرحالة، وصورة زوجته العراقية، الست معاني، بزيها البغدادي، ولوحة لطاق كسرى، وآثار بابل، وقد فقدت معظم هذه اللوحات، إذ إنه يشير إليها في تفاصيل يوميات رحلته، ولم ينشرها في كتابه، ولم يُعثر عليها.

يستوقف الخط العربي ديللافاليه، كما استوقف كثير من الرحالة الغربيين غيره، فنراه حريصًا على تتبع الآثار المكتوبة، التي تُسجل الأعمال العمرانية العظيمة، فمثلا ينقل ما وجده مكتوبًا على مباني عاصمة الخلفاء العباسيين، ومدينة ألف ليلة وليلة، مدينة السلام، بغداد، فيقول: "إن بناء بغداد وطرز عمارتها والكتابات العربية، التي تُقرأ في مواضع عديدة، منها محفورة، ومنها بارزة؛ تدل على أنها مدينة حديثة، وهي من بناء العرب المسلمين من دون أدنى شك، يؤكد ذلك ما جاء من أخبار عنها في كتب تاريخهم"[٢]. ولهذا وقف معظم الرحالة الذين زاروا العالم العربي والإسلامي عاجزين أمام عظمة هذا الفن، وقام بعضهم بنسخ الكثير من الواجهات والنقوش، تعبيرًا عن تقديرهم لها كفن وكقيمة علمية[٣].

جوزيف بوشان

زار الرحالة الفرنسي الأب جوزيف بوشان Joseph Buchan مدن: حلب، وبغداد، والبصرة في سنة ١٧٨٤، ثم فارس ١٧٨٦، وأخيرًا آب إلى فرنسا في سنة ١٧٩٠، وفي هذه السنوات العشر أمد أستاذه في باريس بأرصاد مختلفة مهمة، وبملاحظات نفيسه، ورسم له خريطة لمجرى دجلة والفرات، وخط خريطة أخرى لبحر الخزر أو بحر قزوين، وأهدى إلى الأب برتملي صور مبان وكتابات ورقم وأنواط عديدة، جميعها عن بابل، كما أتحفه بكتب عربية خطية اشتراها من ديار الشرق[٤]. وكان بوشان أول من قام بدراسة أثار العراق، وقام بالتنقيب عنها في الحِلة بحثًا عن آثار بابل التي جاء ذكرها في الأناجيل المختلفة[٥].

كلوديوس ريج

يقوم الرحالة الفرنسي كلوديوس جيمس ريج Claudius James Rich (١٧٨٧-١٨٢١)، المقيم البريطاني في بغداد في الفترة (١٨٠٨-١٨٢١)، بجمع مجموعة قيّمة من المخطوطات الشرقية والمسكوكات والعاديات،

---

[١] الفلمنكVlamingen مجموعتين عرقيتين من القبائل الجرمانية، تقيم الأولى في بلجيكا، ويتكلمون اللغة الفلمنكية، ويكتبون الهولندية، أما الثانية فهم الوالون الناطقين بالفرنسية. "فلمنك"، **الموسوعة الحرة ويكيبيديا**، (تمت الزيارة بتاريخ ٢١ مارس ٢٠٢٣).

[٢] ديللافاليه (بترو): ***رحلة ديللافاليه إلى العراق مطلع القرن السابع عشر***، ترجمة: بطرس حداد، بيروت ٢٠٠٦، ص ١٠- ١٢- ١٩، ٢٠- ٤١.

[٣] غازي (علي): ***الخط العربي في كتابات الرحالة الغربيين***. "*كتاب المجلة العربية* ٢٥٢ ، الرياض ٢٠١٧، ص ١٠٢- ١٠٣.

[٤] محرر مجلة لغة العرب "الأب جوزيف بوشان"، **مجلة لغة العرب**، الجزء الثامن من السنة ٦ (آب ١٩٢٨)، ص ٥٦١.

[٥] ذهني (إلهام): ***فرنسا والخليج من منتصف القرن الثامن عشر حتى بدايات القرن العشرين***، القاهرة ١٩٩٣، ص ١٠٣.

خلال سفره من بغداد إلى إستانبول في عام ١٨٢٠، حيث اشتراها البرلمان البريطاني لمنفعة المتحف البريطاني، حيث تقبع الآن.

يهتم ريج بالمقتنيات النادرة واللقى الأثرية، إذ تجول في العراق، وزار آثارها، وجمع مجموعة غنية بالأنواط والمسكوكات والمجوهرات، والأحجار المنقوشة، التي عثر عليها في بابل ونينوي، وطيسفون وبغداد، وقام برحلة إلى بابل لدراسة آثار تلك المدينة القديمة، فجمع نتاج ملاحظاته في كتابه "مذكرات في أطلال بابل"[١]، الذي طبع لأول مرة سنة ١٨١٣ في فينا، في مجلة مناجم الشرق.

ثم طبع لاحقًا في إنجلترا، وقد وصفت مجلة "ادن يه ره رفيو" هذه الكتاب بقولها: "إنه رواية متواضعة وصريحة في مشاهداته خلال زيارته القصيرة، ويكفيها اعتبارًا ما تمتاز به من خلوها من التحقيقات التي لا طائل تحتها، أو التخمينات الارتجالية، إذ كانت خير برهان على براعة المؤلف في العلوم الشرقية والكلاسيكية، وابتعاده عن الادعاء الفارغ والمباهاة الفظة، وذلك نتيجة طبيعية لعلمه المكين".

يُصدر الميجور "ره نل" في عام ١٨١٦ صحيفته "أركيتولوجيا" فينشر فيها ملاحظاته عن تخطيط بابل القديمة مستندة على مشاهدات واكتشافات ريج، وقد أظهر الشك في بعض آرائه، وعلى هذا قام ريج برحلة أخرى إلى بابل لدرس موقعها، فنشر في لندن عام ١٨١٨ كتابه "مذكرات ثانية عن أطلال بابل"[٢]، تحتوي على تحقيقات في المقارنة بين الأوصاف القديمة لبابل والآثار، التي لا تزال تشاهد في مواقعها مبنية على ملاحظات الميجور "ره نل".

وقد أيد في مذكراته الثانية هذه، استنتاجاته الأولى، وأضاف فهرسًا قيمًا في عاديات بابل مزينًا بالصور المحفورة، فقوبلت هذه المذكرات الثانية باهتمام عظيم في جميع أنحاء أوروبا لأنها ألقت ضوءًا جديدًا على هذا الموضوع الذي يهم كل قراء التاريخ المقدس أو القديم. ولقد كانت مؤلفات ريج، التي نشرها مهمة جدًا، إذ وجه من خلالها أنظار الدول الأوروبية، وخاصة بريطانيا وفرنسا، إلى ما يضمه العراق من آثار مهمة وقيمة.

يواصل ريج انطلاقًا من مقر مقيميته في بغداد تتبعاته القديمة، وتمكن خلال السنوات الخمس التي قضاها فيها، من إضافة مخطوطات جديدة إلى مجموعته فأصبحت أوسع وأثمن مجموعة يمتلكها أي شخص في الشرق، وقد ساعدته إقامته ببغداد على هذه المزية الفريدة، وتوسعت كذلك مجموعته من المسكوكات اليونانية والبرثية (الفرثية) والساسانية والإسلامية، كما توسعت مجموعته من المجوهرات والأحجار المحفورة، لاسيما الأسطوانات البابلية. وفي سنة ١٨٢٠ تسوء حالته الصحية فيقوم برحلة إلى كردستان لغرض تغيير الهواء، وهي الرحلة التي تضمنت يومياتها كتابه "رحلة ريج إلى بغداد وكردستان وإيران".

[1]James (Claudius): ***Narrative of A journey to the site of Babylon in 1811***, London 1813.
[2]James (Claudius): *Memoir on the Ruins of Babylonin1818*, London 1818.

وخلال عودته قام بزيارات متعددة للكنائس المسيحية في مواطن الكلدان، خاصة تلك، التي لم تُتح له مشاهدتها في سفراته السابقة، فتمكن من أن يجمع ويضيف إلى مكتبته عددًا من النصوص السريانية والكلدانية القديمة القيّمة للكتاب المقدس، ومخطوطات نادرة أخرى[١]. وقد آلت جميع مقتنياته الأثرية للمتحف البريطاني، حيث شكلّت أهم مجموعة من آثار بلاد الرافدين معروضة في المتحف آنذاك، وكانت عبارة عن أربعة أختام عليها كتابات مسمارية، و٣٢ رقيمًا طينيًا، و١٣ قطعة أخرى مختومة بالكتابة المسمارية[٢].

تذكر الرحالة والمستشرقة البريطانية الليدي درور أو أثل ستيفاناستيفنسEthelStefanaStevens (١٨٧٩-١٩٧٢)، أن الألواح أو الرُقم الطينية في الإمبراطورية الآشورية كانت تُكتب بالخط المسماري، وهو خط تصويري تشبه علاماته الشكل الجانبي للمسمار، وقد يُسمى، الخط الأسفيني، لأن علاماته تشبه أيضًا الشكل الجانبي للأسفين. وتشير إلى أن السير هنري لايارد، عندما قام بالتنقيب في تل قوينجق سنة ١٨٤٥، كشف عن السر الدفين، وأخرج "أثمن كنز استطاع العثور عليه أي عالم بالآشوريات، إنه خزانة كتب نينوي التي أسسها المحارب سرجون، ملك الإمبراطورية الأكدية (٢٢٧٠-٢٢١٥ق. م.) في القرن السابع قبل الميلاد، والتي زاد فيها خلفاؤه من أمثال سنحاريبوأسرحدون.

وإلى حفيد سرجون، أشور بانيبال، بطل الأساطير يرجع الفضل الأكبر في إنماء هذه الخزانة، فقد كان هذا الملك شغوفًا بالعلم والآثار، وفي عهده تم إيفاد الكُتاب إلى بابل وآشور لاستنساخ الألواح أو الرُقم الطينية الثمينة، وكُتب المعرفة أينما وجدت، ثم جرت ترجمتها إلى اللغة الآشورية عن الألواح السومرية، فلقد أصبحت اللغة السومرية آنئذ لغة ميتة، لا يستعملها إلا رجال الدين حصرًا. وكانت خزانة الكُتب هذه حسنة التنسيق والترتيب، وتضم مؤلفات جمة من الدين والتاريخ والقواعد، وعلم النجوم، والحلول، والأساطير، والقانون والألغاز، والمزامير، وما إلى ذلك.

وكانت الألواح الطينية التي ينقش عليها الكُتاب بالحروف المسمارية بعناية بالغة ذات أشكال مختلفة، وتتسق مع موضوعاتها، فظهر البعض منها مدورًا، ومحدودبًا، وجلي أن الاختلاف هذا إنما أريد به سهولة التصنيف. وفي الخزانة ألواح عجيبة تسرد قصة الطوفان البابلية، وملحمة جلجاميش أيضًا. وفي مقدور المرء أن يتصور أمين خزانة الكُتب هذه، وهو ملتح وغارق في العمل؛ فيرسم هذه اللوحة، ويصنف تلك، أو يوبخ مساعد على ما بدر منه من إهمال فتسبب في كسر إحدى القوائم، أو يقود الزائر إلى حيث تتكدس الألواح، التي تحتوي على ما يطلبه من معلومات.

وقد يراه مُصغيًا إلى عبارات الإطراء والمدح على ما تضمه الخزانة من نفائس، أو لما يتصف به كتابه من علم ودراية، ومن حسن الطالع أن يرعى الخزانة مثل أشور بانيبال، نصير العلم، وبطل الحرب. ذلك أنه أضاف

---

[١] جيمس (كلوديوس): ***رحلة ريج المقيم البريطاني في العراق عام ١٨٢٠ إلى بغداد وكردستان وإيران***، ترجمة: بهاء الدين نور، بيروت ٢٠٠٨، ص ٧-٢٢.
James (Claudius): ***Narrative of A residence in Kurdistan***, 2 Vols, London 1826.

[٢] العزاوي (عمر): ***علم الآثار في العراق نشأته وتطوره***، بيروت ٢٠١٣، ص ٣١.

بإنماء كتبها فخرًا إلى فخار شعبه، لقد خلد اسمه عن طريقها أكثر مما خلده بحروبه الدموية، أو بإقامته إمبراطورية عظيمة سرعان ما أخذت تنهار قبيل وفاته"[١].

أدولفوريفادينيرا

يقوم المستشرق والرحالة الأسبانيأدولفوريفادينيرا AdolfoRivadnera (١٨٤١-١٨٨٢) في سنة ١٨٦٩ بزيارة مصر، ويبدو أنه أبحر منها إلى الهند، إذ يبدأ رحلته من مدينة بومباي الهندية في ٢٨ مايو نحو كراتشي، ومنها يمضي باتجاه الخليج العربي، حيث تتوقف السفينة البخارية التي يستقلها في موانئ: مسقط، وبندر عباس، وبوشهر، وصولًا إلى البصرة.

ثم ينطلق في رحلة نهرية نحو بغداد، وبعد أن يُمضي بها أيامًا عدة، يرافق قافلة تجارية برية باتجاه كردستان، فيتوقف في مدينة كركوك، ومنها يذهب إلى أربيل، ثم الموصل، ليواصل رحلته إلى زاخو، وهي قرية عند سفوح سلسلة جبال جودي، ثم يتجه إلى ديار بكر، وقبل أن تنتهي رحلته في دمشق، يتوجه إلى نصيبين، ثم حماة فحمص، وأخيرًا حلب، حيث يُشاهد مئات المآذن، وقباب الحمامات مذّكرًا بالقول العربي بأن المساجد لبغداد، والخانات لحلب، والبيوت لدمشق.

يستقر أدولفو عدة أشهر في دمشق، ثم يقوم بزيارة تدمر؛ لغرض الكشف على آثارها، بعدما أصبح عضوًا مراسلًا في الأكاديمية الملكية الاسبانية، ورغب في استهلال عمله بتقديم معلومات عن مكان مجهول للأسبان، ويُقدّم وصفًا دقيقًا لتدمر، يتضمن قياسات لطول المعابد وعرضها والأعمدة، وكذلك القلعة، ويتحدث عن الإهمال الذي تُعانيه هذه الأوابد، مُشيرًا إلى بعض اللفائف المستخدمة في التحنيط، التي يشبهها بتلك الموجودة في الجيزة بمصر، التي كان قد زارها قبل عام من رحلته، كما ذكرنا، واصفًا الحجارة التي تحمل كتابات بلغات متعددة منها التدمرية واليونانية والرومانية والهيروغليفية.

يكتب أدولفو بشيء من الإيجاز عن كل محطة يتوقف فيها، ويُقدِّم معلومات تاريخية، ومقارنة، واستعراض لأهم الشعوب والممالك، التي عاشت في تلك المدن، وبسبب ولعه بالآثار توقف أمام الأطلال التي صادفته، وقصد بعضها عامدًا ليُعاين عن قُرب بقايا الأبنية والقصور، وخاصة فيما يتعلق بالمدائن وآثار بابل ونينوى، ويصف بدقة الأزياء، التي يرتديها الناس الذين مر بهم،حريصًا على رصد حركة الأسواق والأسعار، والبضائع المعروضة والمنتجة محليًا، وما يستورد لكل مدينة، بالإضافة إلى رصد إجتماعي دقيق للعادات، التي تُميز كل مدينة عن الأخرى، وخاصة تلك التي تحوي خليطًا عرقيًا أو دينيًا.

ويبدو أن معرفته بلغة البلاد التي مر بها وفرت عليه الكثير من الوقت، فكان ينطلق بعد استراحة قصيرة للتعرّف إلى الناس، والسؤال عمّ يود معرفته، ويدوّن ما توصل إليه، ويحرص على تسجيل كل النشاطات

[١] درور (الليدي): ***على ضفاف دجلة والفرات***، ترجمة: فؤاد جميل، لندن ٢٠٠٨، ص ٢٤، ٢٥.

الإنسانية، الأمر الذي يجعل عمله أقرب إلى البحث الأنثربولوجي، الذي يقدم معلومات هائلة عن كل المناطق التي زارها في رحلته[١].

يُشاهد أدولفو في بغداد، عاصمة الخلافة العباسية، الخطاطون يكتبون وينسخون ويلونون ويزخرفون ويزينون، في مكان مميز لهم يُسمى سوق المكتبين، فيقول: "بين الأسواق لفت اهتمامي سوق المكتبيين، بسبب الصمت الديني، الذي يحتفظ به كل من يكتبون هناك، أو ينسخون أو يتفننون في تزين الأغلفة، وكذلك بسبب الروائع الثمينة التي يضمها، فمن المعروف أنه لا يُمكن طباعة القرآن، وهو أمر أنتج ولا يزال يُنتج، روائع من الخطوط، فقد رأيته مكتوبًا على قطعة رق طولها تسعون سنتيمترًا، وعرضها اثنا عشر، وكذلك في مجلد من حجم الربع مؤلف من ثلاثمئة صفحة، مع ترجمة تركية وفارسية متداخلة مع النص بحبر مختلف الألوان، والهوامش مفعمة بما لا حصر له من التعليقات بخط ميكرسكوبي، وكل الصفحات مزينة وملونة بالذهبي والأزرق، والأبيض، هذه التحف غير العادية، وأكاد لا أصدق أنها مشغولة بالأيدي"[٢].

نيقولا سيوفي

يُعدّ الرحالة الفرنسي نيقولا سيوفي Nicolas. Siouffi(١٨٢٩– ١٩٠١) واحدًا من أوائل مثقفي وباحثي مدينة دمشق، الذين أتيحت لهم فرصة الاحتكاك بالحضارة الأوروبية في أواسط القرن التاسع عشر، واستفادوا منها في تكوين وعيهم، مزاوجين بين معطيات الحضارة الناشئة في أوروبا، وبين جذورهم الحضارية العربية، هذه المزاوجة قادتهم إلى تغيير نمط الكتابة والإنشاء والتفكير، وزاوية رؤية الأشياء مؤسسين بشكل أو بآخر للوعي العربي المعاصر، فكان واحدًا من المثقفين المتميزين الثائرين على تقاليد الكتابة والإنشاء والغناء والتفكير التقليدي.

يولع سيوفي بالتاريخ، وقد استطاع أن يحصل على خبرة معرفية عبر عنها باهتمامات خاصة بالتاريخ العربي، وأثار منطقة الشرق الأدنى، فكتب الكثير في هذا المجال، وله دراسة عن المسكوكات العربية القديمة، وأبحاث في المسكوكات تدل على خبرة تامة، واستقصاء في البحث. وكان يستعين بنساخين من أهل الموصل؛ ينسخون له الكتب الثمينة، التي يجدها في خزائن الكتب الموصلية، فنسخوا له عدة كتب منها باعها لمتاحف أوروبا، ومن الكتب الفريدة، التي حصل عليها سيوفي كتاب "ترجمة عربية لكتاب ديسقوريدس" (٤٠–٩٠م) في تصوير النباتات والحيوانات وخواصها، فقد كلف الناسخ السيد مصطفى الصائغ باستنساخها عن نسخة قديمة كانت في المدرسة المحمدية بجامع الزيواني في الموصل، فاعتنى باستنساخها ونقل صورها بغاية الدقة.

ثم إن سيوفي أخذ الأصل والنسخة الجديدة إلى دار يونس بك بن عبد الرحمن باشا الجليلي متولي الجامع المذكور، فأعجب يونس بك بخط النسخة الجديدة، وجمال صورها، فعرض على سيوفي أن يحتفظ للوقف بها،

[١] ريفادينيرا (أدولفو): ***من سيلان إلى دمشق***، ترجمة: صالح علماني، دمشق ٢٠٠٩، ص ١١.
[٢] ريفادينيرا: ***من سيلان***، ص ٥٧– ٥٨.

وأن يأخذ سيوفي النسخة القديمة، وهي على ما يُقال مكتوبة على رق فوافق على هذا، وجمع الكثير من المخطوطات، واستطاع أن ينشر دراسة في واحدة من أهم المجلات الاستشراقية المعروفة في العالم وهي المجلة الأسيوية، إضافة إلى وضعه عددًا من الكتب المرجعية المتعلقة بشمال العراق؛ كونه عمل قنصلا لسنوات عدة.

يترك سيوفي مجموعة من الكتابات أهمها: "مجموع الكتابات المحررة في أبنية مدينة الموصل"[١]، في مجلدين، جمع في الأول الكتابات العربية، وفي الثاني علق على هذه الكتابة. واعتمد في تعليقاته على ما سمعه من المعمرين من أهل الموصل، وعلى كتب ياسين بن خير الدين الخطيب العمري (١٧٤٤-١٨٢٠)[٢]، وخاصة كتابه "الدر المكنون في المآثر الماضية من القرون"، واعتمد كذلك على كتاب "منهل الأولياء ومشرب الأصفياء في ذكر سادات الموصل الحدباء"، لمحمد أمين بن خير الله الخطيب العمري (١٧٣٨-١٧٨٨)[٣]، وكتاب "الانتصار للأولياء الأخيار"، ليوسف بن عبد الجليل الحلبي (ت. ١٨٢٥)[٤]، وكلها مخطوطة، وانتهى من التعليقات في سنة ١٨٨١ كما يتضح من التاريخ الذي على المخطوط. وله كذلك مقال عن ختم السلطان المغولي محمد خودابندااُولجايتو، خان الدولة الإليخانية (١٣٠٤-١٣١٦م) ، نشر في المجلة الآسيوية بباريس سنة ١٨٦٩، وأما أبحاثه التي نشرها عن النقود الإسلامية، فتضم قائمة بالنقود الإسلامية، طبعت في الموصل عام ١٨٨٠، و"كتالوج النقود العربية" المطبوع في الموصل عام ١٨٩١[٥].

شارل هوبير

يُطرد الرحالة الهولندي كريستيان هيروجرونجي1857-1936) ChristiaanHurgronje)، من مكة المكرمة في أغسطس ١٨٨٥ بسبب مشكلة أثارها مساعد القنصل الفرنسي في مكة حول حجر تيماء، وهو لقيا أثرية عليها كتابات سامية ذات قيمة أثرية كبيرة. ويُعتقد أن الرحالة الإنجليزي تشارلز داوتي (Charles Doughty) 1843-1926) أول من تنبه إلى حجر تيماء في عام ١٨٧٨، ودفعت أخبار هذا الحجر الرحالة الفرنسي شارل هوبير (1847-1884) CharlesHuber) للوصول إلى تيماء في عام ١٨٧٨ بحثًا عن هذا الأثر.

وفي عام ١٨٨٣ يعود إلى الجزيرة العربية برفقة الرحالة والمستشرق الألماني يوليوس أويتنج(1839-1913)JuliusEuting)، وبعد أن انفصل الرجلان، ترك هوبير أوراقه وحجر تيماء في حائل،

---

[١] سيوفي (نيقولا): ***مجموع الكتابات المحررة في أبنية مدينة الموصل***، تحقيق: سعيد الديوجي، بغداد ١٩٥٦.

[٢] يشتهر باسم ياسين العمري، مؤرخ وشاعر عراقي من أهل الموصل، ترك تآليف في مجالات عديدة، ويعد من أكثر الكتاب إنتاجًا في عصره، إذ كتب ما لا يقل عن ١٧ كتابًا في التاريخ فقط، هذا عدا مصنفاته الأخرى.

[٣] يشتهر باسم محمد العمري، مؤرخ وأديب عراقي من أهل الموصل، له الكثير من المؤلفات في التاريخ والنحو والشعر والأدب والحساب وغيرها.

[٤] يشتهر يوسف الخضري، واعظ عراقي من أهل الموصل، من آثاره: الانتصار للأولياء الأخيار، كشف الأسرار وذخائر الأبرار، الاستشفاء بأحاديث المصطفى.

[٥] سيوفي (نيقولا): ***رحلة نيقولا سيوفي ١٨٧٣***، تحقيق: تيسير خلف، دمشق ٢٠٠٩، ص ٥-١٣.

وذهب إلى مكة المكرمة، وفي طريق رجوعه قتله دليله، حيث اختلفا حول الحجر، هذا يريده لفرنسا، والآخر يريده لألمانيا، وهكذا تم إفشال محاولة الألمان الحصول على حجر تيماء، ونُقل حجر تيماء إلى فرنسا.

حيث يُعدّ الآن من أنفس ممتلكات متحف اللوفر بباريس، بينما وجد هوبير مقتولًا، عندها وشي مساعد القنصل الفرنسي بهروجرونجي عند السلطات العثمانية بأن له يدًا في مقتل هوبير[١].

وقد تمكن هوبير كذلك أثناء رحلته إلى حائل في عام ١٨٧٨ من اكتشاف الكثير من الكتابات القديمة، ونسخ عدد منها، ومن ضمنها نقش حجر تيماء، الذي وجد عليه كتابات لم تُشاهد في الجزيرة العربية من قبل، ويعود تاريخ هذا الحجر إلى القرن الخامس قبل الميلاد، ويعتبر من أبرز الاكتشافات الأثرية في شبه الجزيرة العربية خلال القرن التاسع عشر. ويُظهر هذا الحجر، الذي نقش بالقلم الآرامي أحد الكهنة، الذي استقدم إلهًا جديدًا إلى تيماء، فأنشأ لهيكل الإله المعبود وقفًا، وظهر في أسفل الرسم الكاهن الذي شيد النُصب[٢].

جين ديولافوا

تهتم بآثار العراق الرحالة والأديبة والمستكشفة والصحفية والروائية وعالمة الآثار والمؤرخة الفرنسية جين ديولافواJeanneDieulafoy (١٨٥١-١٩١٦)، المعروف عنها حبها وشغفها وولعها بالتاريخ القديم، وكذلك زوجها مارسيل ديولافواMarcelDeulafoy (١٨٤٤-١٩٢٠) الشغوف بعلم الآثار في عام ١٨٧٩م.

إذ قرر الزوجان تكريس حياتهما للبحث عن الآثار، حيث قاما معًا، برحلة إلى وسط فارس والجزيرة العربية والخليج في عام ١٨٨١، بدأها من مارسيليا إلى القسطنطينية، العاصمة العثمانية، وأبحرا في الساحل الشرقي للبحر الأسود على متن قارب روسي، وواصلا رحلتهما إلى القوقاز وأذربيجان وتبريز، ومن هناك سافرا إلى طهران وأصفهان وشيراز، حيث قدما الزوجان العديد من الرسوم التوضيحية، واكتشف الزوجان الكثير من القطع الأثرية، التي نُقلت إلى باريس، حيث لا تزال معروضه في متحف اللوفر، ولهذا منحتهما الحكومة الفرنسية لقب فارس، ووسام الشرف في عام ١٨٨٦[٣].

يوليوس أويتنج

يهدف الرحالة الألماني يوليوس أويتنجJuliusEuting(١٨٣٩-١٩١٣) من رحلته، التي قام بها في شتاء عام (١٨٨٣-١٨٨٤)؛ للوصول إلى حجر تيماء، الذي عثر عليه الفرنسي شارل هوبير في قصر طليحان، ونقله إلى متحف اللوفر بباريس، حيث يُحفظ برقم (AO1505)، ويتكون النص المكتوب عليه بالقلم الآرامي من

---

[١] هورخرونيه (سنوك)***:صفحات من تاريخ مكة المكرمة***، ترجمة: محمد السرياني،الجزء ا، الرياض ١٩٩٩، ص ٣٢-٣٣؛ حمدان (عبد الحميد): ***طبقات المستشرقين***، القاهرة: د. ت. ، ص١٤٨..

[٢] هوبير (شارل): ***رحلة في الجزيرة العربية الوسطى ١٨٧٨-١٨٨٢***، ترجمة: إليسار سعادة، بيروت ٢٠٠٣، ص ٩- ١١؛ بدول (روبن): ***الرحالة الغربيون في الجزيرة العربية***، ترجمة: عبد الله أدم نصيف، الرياض ١٩٨٩، ص ١٣٨؛ يوسف (شريف): ***إكتشافات الرواد والرحالين الغربيين في شبه الجزيرة العربية وأثر العرب في علم الجغرافية***، مجلة المورد، المجلد ١١، العدد الثاني (١٩٨٢)، ص ١٤.

[٣] ديولافوا (جين): ***رحلة مدام ديولافوا من المحمرة إلى البصرة وبغداد ١٨٨١م/ ١٢٩٩هـ***، ترجمة: علي البصري، بيروت ٢٠٠٧، ص ٧-١٠.

ثلاثة وعشرين سطرًا تتحدث عن تنصيب أحد الكهنة في معبد الإله الوثني صلم في تيماء، وينص على التزام المعابد الأخرى بتقديم محصول إحدى وعشرين نخلة ضريبة لمعبده[١].

تلقى أويتنجدراساته العليا في اللغات والدراسات الشرقية في جامعات: لندن وأكسفورد وباريس، ثم درس علم الآثار والنقوش واللغات القديمة، وينبثق منها اهتمامه بالسفر والبحث العلمي، والكتابة حول النقوش والآثار، والدراسات الشرقية[٢]. وبدأ حياته العملية في عام ١٨٦٦ موظفًا في مكتبة معهد مدينة توبنجبن. وقام خلال الفترة (١٨٦٧-١٨٧٠) بعدد من الرحلات، لجمع ودراسة النقوش السامية القديمة، ويُودع الكثير منها بجامعة القيصر فلهلم في شتراسبرج. ويُخطط منذ عام ١٨٨٢ لزيارة الجزيرة العربية مرة أخرى، ويزداد حماسه بعد أن يعلم بقيام الرحالة الإنجليزي تشارلز داوتيCharlesDoughty (١٨٤٣-١٩٢٦) بزيارة مدائن صالح، واكتشافه العديد من النقوش النبطية[٣].

يقوم أويتنج منذ وصوله إلى شتراسبرج بالعمل على تحقيق ما جمعه من مادة علمية أثناء رحلته، وفي عام ١٩٠٣ يختاره فلهلم الثاني WilhelmII، قيصر الرايخ الألماني الثاني (١٨٨٨-١٩١٨)، عضوًا في فريق من المختصين الألمان لنقل قصر المشتى الأموي الذي اكتشفه الباحث النمساوي ألويز موزيلAloisMusil (١٨٦٨-١٩٤٤) من شرق الأردن إلى ألمانيا. ثم يُعين أويتنج رئيسًا لمكتبة جامعة القيصر (١٩٠٠-١٩٠٩)[٤].

ويقوم بنشر يوميات رحلته بعد عشر سنوات من انتهائها، فيُصدر الجزء الأول في عام ١٨٩٦، أما الجزء الثاني فيُنشر عام ١٩١٤، بعد عام من وفاته، التي كانت في يوم ٢ يناير ١٩١٣ في مدينة ستراسبورج[٥].

ويعتمد أويتنج في يومياته على الوصف العلمي الصحيح، الذي يقوم على المشاهدة الواقعية، ويبتعد عن الخيال القصصي، ويحرص على تقديم وصف دقيق للمدن والقرى التي زارها، والطرق والمسالك التي سار عبرها، ومناهل الآبار وموارد المياه التي وردها، والجبال والصحراء، والآثار التي شاهدها، والمباني، والقلاع، والحصون التي احتمى بها، وأحوال الطقس التي أحس بها، كما يحرص كذلك على تقديم وصف مُفصل للعادات والتقاليد، وأحوال المعيشة، للمجتمعات التي زارها، ولم يكتفِ بالوصف ونقل مشاهدته اليومية، بل إنه يُسخّر موهبته في الرسم؛ لينقل صورة واقعية، لتكون المحصلة كتابًا يتضمن معلومات نادرة وقيّمة؛ قد لا نجدها في أي مصدر آخر، يُفيد الباحث والمؤرخ والجغرافي والاقتصادي والاجتماعي[٦].

---

[١] أويتنج (يوليوس): ***رحلة داخل الجزيرة العربية***، ترجمة: سعيد السعيد، الرياض ١٩٩٩، ص ١٦٠.

[٢] غازي (علي): ***الخط العربي: ذاكرة جمالية ومعين للباحثين من كتابات الرحالة يوليوس أويتنج***، مجلة ومضات، العدد ٢٦ (٢٠١٦)، ص ٤٣-٤٥.

[٣] العنزي (عبد العزيز): ***رحلة أويتنج من الشمال وحتى مدائن صالح***، مجلة ترحال، العدد ٥٨ (٢٠١٥)، ص ٧٤-٧٧.

[٤] أويتنج: ***رحلة***، ص ١١-١٦.

[٥] البادي (عوض): ***الرحالة الأوروبيون في شمال الجزيرة العربية (منطقة الجوف ووادي السرحان) ١٨٤٥-١٩٢٢***، بيروت ٢٠٠٢، ص ١٧٣- ١٧٤.

[٦] أويتنج: ***رحلة***، ص ٩-١٠.

يتضح أن هدف أويتنج كان علمي بحت، على الرغم من أن بعثته كانت تحمل أغراض أخرى، إذ أدت رغبته في جمع النقوش ودراسة الكتابات العربية القديمة إلى قيامه برحلته الشاقة إلى جزيرة العرب، التي استغرقت ما يربو على ثمانية أشهر، وكان حريصًا على نقل واستنساخ كل نقش وقعت عينه عليه، كما قدم وصفًا دقيقًا لكل موقع جغرافي أو عمراني أو أثري مر به. ويُمكن التعرّف على مغزى رحلته من قوله: "اقتربنا الآن أكثر من بنايات المقابر الرائعة في مدائن صالح ذات النقوش النبطية الطويلة على واجهاتها، والتي من أجلها كان الهدف الرئيسي لرحلتي إلى جزيرة العرب"[١].

يهدف أويتنج من رحلته للوصول إلى حجر تيماء، المعروف كذلك بين أوساط الدارسين باسم "مسلة تيماء" الذي عثر عليه، كما سبقت الإشارة، الرحالة الفرنسي شارل هوبير في قصر طليحان، كما يذكر أويتنج، ومحفوظ الآن في متحف اللوفر بباريس تحت رقم (AO1505)، ويعود تاريخ هذا الحجر إلى القرن الخامس قبل الميلاد، وعليه نقش مكتوب بالخط الأرامي، ويتكون النص المكتوب من ثلاثة وعشرين سطرًا تتحدث عن أمرين رئيسين: الأول تنصيب أحد الكهنة في معبد الإله الوثني صلم في تيماء، والثاني ينص على التزام المعابد الأخرى بتقديم محصول إحدى وعشرين نخلة ضريبة لمعبد الإله صلم في تيماء[٢].

يقول أويتنج "كنت أتحرق شوقًا ونحن نتجه إلى القصر لرؤية ذلك النقش النبطي، وبالذات النقش الأرامي القديم، نسبة إلى الشعوب الآرامية، الذين أسسوا في مطلع الألف الأول قبل الميلاد ممالك وإمارات متعددة في بلاد الشام وبدؤوا منذ القرن العاشر قبل الميلاد يكتبون نصوصهم ذات الطابع السياسي البحت بخط مشتق من الأبجدية الفينيقية، ويتكون من اثنين وعشرين حرفًا، والذي قرأت عنه في مذكرات هوبير خلال رحلته الأولى للجزيرة العربية، وأرخته في التقرير الموجه من هوبير إلى وزير التعليم الفرنسي إلى فترة تعود على أقل تقدير إلى القرن الخامس قبل الميلاد"[٣].

يقوم أويتنج بنسخ النص المكتوب على حجر تيماء بالخط الأرامي، فيظل يفكر فيه، ويقول "أدى تفكيري في ذلك الحجر إلى إصابتي بالقلق، وعدم القدرة على النوم إلى القدر الذي جعلني أنهض عند الفجر، لأنظر من جديد على ضوء الشموع إلى الورقة التي نسخت عليها النقش". ويعثر أويتنج على كتابات بالخط الأرامي على جدران أحد المنازل في تيماء، فيقول "ذهبت مع صانع السلاح زيدان في جولة خلال المدينة زرنا فيها أولًا منزل الخطيب محمد العتيق، الذي كان على أحد جدران مسكنه الداخلية حجر عليه نقش كُتب بالخط الآرامي"[٤].

---

[١] أويتنج: ***رحلة***، ص ٢٢٠.
[٢] أويتنج: ***رحلة***، ص ١٦٠.
[٣] أويتنج: ***رحلة***، ص ١٥٧.
[٤] أويتنج: ***رحلة***، ص ١٦١.

ماكس أوبنهايم

يعود اهتمام القانوني والدبلوماسي والسياسي والمستشرق والآثاري والمخطط الإنمائي والاستخباراتي، البارون الألماني ماكس أوبنهايمMaxOppenhiem (١٨٦٠-١٩٤٦) بالشرق إلى سنوات المراهقة الأولى، حيث يقول إن اهتمامه جاء بعد أن أهديت له نسخة من كتاب ألف ليلة وليلة، ثم دفعه الولع والاهتمام والمثابرة إلى مجالات متنوعة وكثيرة، وتوسعت دراساته وشملت مواضيع متعددة منها، دراسات الأنثربولوجي، والتاريخ القديم، والدراسات الآشورية، التي جعلت منه عضوًا في المتحف الملكي الأثنولوجي في برلين، وعضوًا في الجمعية الجغرافية الأنثروبولوجيةوالأثبولوجية (الدراسة المنهجية للطبيعة الإلهية)، وفي جمعية التاريخ البدائي، وكلا الجمعيتين مقرها برلين.

ويكتشف في عام ١٨٩٩ آثار تل حلف في الشمال الشرقي لسورية، وبين عامي (١٩١١-١٩١٣) استأنف البحث في آثار تل حلف. وفي عام ١٩٢٩ قام بحملة استكشافية في تل حلف، وقد سمحت له السلطات العثمانية؛ بإرسال ثلثي مكتشفات تل حلف إلى برلين، والبقية أرسلت إلى حلب، وفي عام ١٩٣٠ افتتح متحف تل حلف في برلين مدعومًا من قبل عائلته وأصدقائه.

وفي عام ١٩٣١ قام برحلة إلى الولايات المتحدة الأمريكية لغرض بيع بعض القطع الأثرية، التي وجدها في تل حلف، لحل بعض مشاكله المادية، ولكن المشروع فشل بسبب الكساد الاقتصادي العظيم. وفي عام ١٩٤٣ تعرض بيت ومكتب أوبنهايم الخاص ومقتنياته الشرقية، وآثار تل حلف في المتحف، للضرب بواسطة القنابل، وسببت أضرارًا كبيرة وفقدان الكثير منها[١].

جيرترووود بيل

تتصرف الرحالة البريطانية جيرترووود بيل GertrudeBell (١٨٦٨-١٩٢٦) للإسهام في تصريف أمور العراق الداخلية والاتصالات الخارجية السياسية، إلا أنها بالرغم من ذلك ساعدت في التنقيب عن الآثار في العراق خلال عقد من الزمان (١٩١٦-١٩٢٦)، وأنشأت متحف بغداد، واهتمت بتزويده بالمقتنيات وتصنيف التعريف بها[٢].

بدأ اهتمام جيرترووود بيل بالعرب والحياة العربية نهاية القرن التاسع عشر بداية القرن العشرين، حيث قامت برحلة في شتاء عام (١٨٩٩-١٩٠٠)؛ لزيارة القدس، وتعلّم اللغة العربية، والقيام ببعض الاستكشافات الأثرية؛ لتستحق بجدارة نتيجة ذلك أن تُمنح الميدالية الذهبية من الجمعية الجغرافية الملكية The Royal

---

[١] أوبنهايم (ماكس): ***من البحر المتوسط إلى الخليج: لبنان وسوريا***، ترجمة: محمود كبيبو، لندن ٢٠٠٨، ص ٧-١٠؛أوبنهايم (ماكس): ***البدو، ما بين النهرين "العراق الشمالي" وسورية***، الجزء الأول، ترجمة: محمود كبيبو، لندن ٢٠٠٧، ص ٣٦-٤٠.

[٢] بيل (المس): ***العراق في رسائل المس بيل ١٩١٧-١٩٢٦***، ترجمة: جعفر خياط، بيروت ٢٠٠٣، ص ١٧-٢٠؛ بيرغوين (إليزابيث): ***جيرترووود بيل من أوراقها الشخصية ١٩١٤-١٩٢٦***، ترجمة: نمير مظفر بيروت ٢٠٠٢، ص ١١، ١٢؛الزركلي (خير الدين): ***الأعلام: قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين***، الجزء الثاني، بيروت ١٩٦٩، ص ١٠٧.

Geographic Society. وكانت المس بيل تجوب المنطقة بحجة البحث عن الآثار مرة، وبحجة دراسة لهجات البدو مرة أخرى، وبحجة الإلمام بأصول القبائل وأنسابها ثالثة، إلى أن وصلت إلى أعماق الجزيرة العربية في محاولة لاستمالة عدد من شيوخ البدو إلى جانب الحكومة البريطانية، وتعبئة عواطف العرب ضد العثمانيين.

تنتدب الحكومة البريطانية جيرترود بيل للعمل في العراق أثناء الحرب العالمية الأولى (١٩١٤-١٩١٨)، وفي نهاية عام ١٩١٤ تصل إلى العراق، وبعد احتلال القوات الإنجليزية لبغداد؛ تُعين السكرتيرة الشرقية للحاكم السير بيرسي كوكس PercyCox (١٨٦٤-١٩٣٧)، أحد أبرز صانعي السياسة البريطانية في الجزيرة العربية والشام[١]. وأخيرًا تركت جيرترود بيل رسائل يبلغ عددها ١٦٠٠ رسالة، وكذلك يوميات بلغ عددها ١٦ مجلدًا، وملاحظات خاصة بلغ عددها ٤٠ كتيبًا صغيرًا، بالإضافة إلى ٧٠٠٠ صورة[٢].

تقوم جيرترود بيل، خلال السنوات التي قضتها في العراق (١٩١٦-١٩٢٦)، بجولات في كافة ربوع البلاد شمالا وجنوبًا، وطافت ببواديها ونزلت ضيفة على مشائخ العشائر العراقية، وزارت قرى العراق ومدنها ووصفتها، وكتبت عن عاداتها وتقاليدها وقيمها بإسهاب، ولما كنت لماحة قوية الملاحظة، فقد لفت انتباهها النقوش المدومة بالخطوط العربية أو غير العربية، فتشير في إحدى رسائلها إلى انتشار الخط العربي في مدينة بُصرى، فتقول: "كانت هناك كتابات في كل مكان باللاتينية واليونانية والكوفية والعربية منقوشة، دخلت في بناء جدران بيوت الفلاحين على نحو مقلوب، بالإضافة إلى بلاطات مثقوبة كانت في السابق نوافذ، وقطع من أعمدة أو تيجان لأعمدة"[٣].

ماري تشب

تقوم الرحالة البريطانية ماري تشب MaryChubb (١٩٠٣-٢٠٠٣) باكتشاف حاضرة أشنونا السومرية؛ التابعة لحضارة أوروك في أواسط العراق، ضمن بعثة أمريكية تحت إشراف المعهد الشرقي التابع لجامعة شيكاغو بدءًا من عام ١٩٢٩، ودامت ست سنوات بقيادة نخبة من علماء الآثار والنقوش القديمة، وكانت لجهودها العلمية نتائج باهرة لقيت كل اهتمام من الدوائر العلمية قبل الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩-١٩٤٥)، ونجحت في العثور على الكثير من اللقى الأثرية والتماثيل والنقوش القديمة، التي أسهمت في جلاء وجه عالم الشرق الأدنى القديم.

ولم تكن ماري عالمة آثار كبيرة، وكان دورها محدودًا في البعثة الآثارية في العراق، التي قام بها المعهد الشرقي التابع لجامعة شيكاغو في عام ١٩٣٣، حيث كان عمرها حينئذ ٣٠ عامًا، وكانت حصيلة هذه البعثة

---

[١] بيرغوين: **جيرترودبيل**، ص ١٠-١٢، ٢٣-٢٥، ٣١-٣٣، ١٠٥-١٠٦.

[٢] ليدي بيل: *رسائل جيرترود* بيل، ص ٨-١١.

[٣] ليدي بيل: ***رسائل جيرترود***، ص ٧٧.

مكتشفات مذهلة في مواقع مهمة جدًا تعود إلى الحضارات السومرية والأكدية، وكان من بين اللقى تماثيل عديدة لآلهة وحلي وأختام أسطوانية، ونقوش كتابية فريدة.

ولم يزد دور ماري في البعثة عن المشاركة الثانوية والتلمذة على أيدي كبار علماء الآثار المشتركون في البعثة، إلا أنها لعبت بكتاباتها دور الرواية، التي جمعت أحداث وتفاصيل الاكتشافات، التي قامت بها البعثة، فكتبت الكثير؛ مما يعيدنا إلى عالم زاخر بالتاريخ والفكر والأساطير والمكتشافاتالآثارية المثيرة، وهو عالم أواخر السومريين وبدايات الأكديين.

وكانت ماري قد انغمست في عشق دراسة الآثار والتنقيب عنها، منذ صغرها، إذ استهواها البحث في الوثائق التي كانت أسرتها تقتنيها إبان العصر الفيكتوري، وهذا ما ولد لديها شغفًا بدراسة الماضي واكتشاف أسراره، وكانت منذ صباها تحلم بالانضمام إلى إحدى البعثات الأثرية، التي ألهبت مخيلة المثقفين، وخاصة بعد إعلان الآثاري البريطاني هاورد كارتر HowardCarter(١٨٧٤-١٩٣٩) عن اكتشاف أعظم وأروع كنز أثري، هو مقبرة توت عنخ أمون في عام ١٩٢٢.

وفي عام ١٩٣٣ التحقت بالبعثة الأثرية التي يشرف عليها المعهد الشرقي التابع لجامعة شيكاغو في العراق، وكان حصيلتها اكتشاف مدينة إشنونا السومرية التابعة لمدينة أور، وتولت تحرير التقارير العلمية للبعثة، وأسهمت في نجاحها، ولدى إندلاع الحرب العالمية الثانية في عام ١٩٣٩ عادت إلى إنجلترا، وهنا تعرضت لحادث، فقدت فيه إحدى ساقيها، فتوجهت للكتابة، إذ ظلت على قيد الحياة حتى عام ٢٠٠٣.

ومن مؤلفاتها كتاب "مدينة في الرمال.. قصة اكتشاف حاضرة إشنونا في بلاد المشرق"، الذي نشر للمرة الأولى بلندن في عام ١٩٥٧، يحكي تفاصيل مراحل العمل والتجارب التي مر بها أفراد البعثة، في تصوير دقيقة للحياة الحميمة لمجموعة من الآثاريين كانوا أصدقاء أكثر مما كانوا زملاء، ونجحوا في تحقيق كشف آثاري عظيم، لحضارات بلاد الرافدين القديمة[١].

النتائج

يتبين من تحليل ما ورد عن آثار العراق وشبه الجزيرة العربية في كتابات بعض الرحالة الغربيين اهتمامهم جميعًا بزيارة الآثار والكتابة عنها، ورسم بعضهم لصور لها، ونقل آخرون نقوش من عليها، فقد استهوتهم الكتابات المسمارية والآرامية والنبطية؛ بل والعربية، وحاول بعضهم فك طلاسمها، كما نقل بعضهم معه إلى بلاده ما جمعه من لقى وعاديات ومخطوطات، حيث زينت بها منازلهم أو أنشئوا متاحف خاصة ضمت هذه المقتنيات.

[١] تشب (ماري)،***مدينة في الرمال، قصة اكتشاف حاضرة إشنونا السومرية***، ترجمة: وفاء الذهبي، أبو ظبي ٢٠١١، ص ١٣-١٦.

كما أن آخرون أهدوا أو باعوا ما حملوه معهم من آثار إلى المتاحف الوطنية في بلادهم، حيث لا تزال معروضة حتى اليوم، والقلة منهم من اهتم بتأسيس متاحف وطنية في العراق، تجمع آثارها، ولعل النموذج الوحيد الذي وقف عليه الباحث يمثل الرحالة البريطانية جيرترود بيل، التي عملت مستشارة للمقيم البريطاني في بغداد، وكان فيصل الأول، ملك العراق (١٩٢١-١٩٣٣)، يستشيرها في كثير من الأمور الخاصة به وبالحكم، ولهذا فقد أحبت أهل العراق، وعشقت حياة البادية فيه، ونالت ما تمنت أن تموت وتدفن في أرض العراق، ولهذا اهتمت بتأسيس متحف بغداد؛ ليُصبح أول متحف وطني في العراق ليجمع بعض آثاره المنهوبة.

يُلاحظ تعدد جنسيات الرحالة الذين اهتموا بآثار العراق وشبه الجزيرة العربية، فقد وجد منهم الفرنسي، والإيطالي والأسباني والبريطاني والألماني والهولندي، وإن كان الملحوظ هو الاهتمام الفرنسي خاصة بآثار العراق، والذي ربما يعود إلى دافع سياسي، نتج عن المنافسة التقليدية بين بريطانيا وفرنسا.

إذ إن خضوع العراق للإمبريالية البريطانية، ومن ثم الانتداب البريطاني في أعقاب الحرب العالمية الأولى، قد دفع الحكومة الفرنسية إلى توجيه اهتماماتها إلى الكشف عن آثار العراق، والانطلاق من مظلة الدافع الثقافي لمنافسة الهيمنة البريطانية في العراق. ومع أن الكشف عن الحضارات القديمة من أنبل المهام العلمية هدفًا، خاصة وقد وصف القرن التاسع عشر بأنه قرن المعرفة، إلا أن هذه المعرفة أصبحت في بعض الأحيان ستارًا لأهداف استعمارية، فقد منحت بعثات التنقيب بعض الدول الأوروبية، وخاصة إنجلترا وفرنسا، فرصة كبيرة للتدخل في أمور العراق وشبه الجزيرة العربية، ونهب ثرواتها الاقتصادية، والاستيلاء على كنوزها الأثرية، ومن ثم شهد مجال البحث والتنقيب عن الآثار منافسة كبيرة في المنطقة بين الإنجليز والفرنسيين، وإذ كان للفرنسيين الفضل في فك رموز الكتابة الهيروغليفية المصرية القديمة، فإن للإنجليز الفضل في فك رموز الكتابة الأشورية العراقية القديمة[١].

المناقشة

يلاحظ كذلك أن الرحالة الغربيين المهتمين بآثار العراق، لم يهتموا فقط بآثاره القديمة، الآشورية والسومرية والبابلية، وإنما لفت انتباههم أيضًا آثارها الإسلامية من القباب والمآذن والقصور والمسكوكات والمخطوطات، والمسيحية من الكنائس والأديرة، كما اهتم بعضهم اهتمام خاص بجمع المخطوطات سواء باللغة العربية أم بغيرها من اللغات الشرقية، وكذلك مخطوطات الكتب المقدسة، وخاصة التوراة والإنجيل، وأسهم بعضهم في اكتشافات آثارية جديدة في العراق قوبلت بإطراء علماء الآثار الأوروبيين ومحبي الحضارات الشرقية عامة، وبفضل جهود هؤلاء أسهموا في إماطة اللثام عن جوانب كانت لا تزال مجهولة في تاريخ حضارات العراق والشرق الأدنى القديم.

[١] غازي (علي): ***الصراع الأجنبي على العراق والجزيرة العربية في القرن التاسع عشر***، بيروت ٢٠١٥، ص ١١٤-١١٨.

يلاحظ اهتمام الرحالة الغربيين بكل مدن وتلال العراق الآثارية، فقد حظيت باهتمامهم آثار كل من: بابل، آشور، نينوى، تل قوينجق، بغداد، الموصل، كركوك، عقرقوف، وغيرها.

أخيرًا يتبين أن الرحالة الذين اهتموا بآثار العراق وشبه الجزيرة العربية قد تنوعت اهتماماتهم ما بين رحالة اكتشفوا ونقبوا وبحثوا عن آثار العراق، وآخرون قدموا صور ورسومات لجوانب من آثاره، وفريق ثالث اهتم بالحصول على هذه الآثار ونقلها معه إلى بلاده، وأخيرًا رحالة اهتم بتأسيس متاحف وطنيه في العراق تضم بين جنباتها الآثار العراقية، التي تنبأ عن حضارات عظيمة تعاقبت على العراق في عصوره التاريخية المختلفة.

الخاتمة

تبين دراسة علاقة الرحالة الغربيين بآثار العراق وشبه الجزيرة العربية، أن معظم الرحالة الذين زاروا المنطقة، على الرغم من تعدد غاياتهم ودوافعهم واهتماماتهم، إلا أنهم ربطتهم علاقة ما بالآثار القديمة في العراق أثناء زيارتهم لها، ويمكن تقسيمهم إلى رحالة تركوا في مؤلفاتهم إشارات وصف لما سمعوه عن الأحوال في العراق وشبه الجزيرة العربية والأبنية القديمة فيهما، من حيث الحديث عن الآثار ومواقعها، وكونها جزءًا من كل ما وصفوه وكتبوا حوله.

وبمعنى آخر لم تكن كتاباتهم لذات الآثار نفسها؛ بل كان اهتمامهم بالآثار جزءًا من اهتمامهم بكامل مباني المدن، التي زاروها، وكتبوا عنها، وقسم آخر احتك مباشرة مع الآثار من خلال عملهم في التنقيب، أو نقلهم واستنساخهم لكتابات مسمارية منها، فضلا عن استحواذهم على عدد منها، ونقلها إلى أوروبا لدراستها ولعرضها في المتاحف هناك، سواء كانت متاحف خاصة، أو متاحف وطنية عامة.

تركز اهتمام الرحالة الغربيين بآثار العراق وشبه الجزيرة العربية بدءًا من القرن الخامس عشر الميلادي، إذ شهدت أوروبا تيارًا فكريًا إنسانيًا تمثل في العودة إلى الماضي، والبحث عن آثاره القديمة، سواء في أوروبا أو الشرق الأدنى القديم، فظهرت دراسات كثيرة أغنت الحركة الفكرية والعلمية آنذاك، إذ انتعش تيار جديد تمثل في الرغبة في الاطلاع على الشرق الغني بتراثه الفكري والحضاري، وكان لأسماء المدن الشرقية عامة والعراقية بخاصة، مثل نينوى وبابل وبغداد سحرًا قويًا في نفوس الأوروبيين، وشكلت دافعًا إلى المزيد من حب الاطلاع والبحث عن سحر الشرق ومدنه وآثاره، وكان الدافع لتلك الرحلات في البداية أدبيًا وثقافيًا وآثاريًا، إلا أنه تداخل مع غايات إمبريالية سياسية استعمارية.

المراجع:

- آن بلنت (الليدي): *قبائل بدو الفرات عام ١٨٧٨* ، ترجمة: أسعد الفارس؛ نضال خضر ، دمشق ١٩٩١.
- أوبنهايم (ماكس): *البدو، ما بين النهرين "العراق الشمالي" وسورية*، الجزء الأول، ترجمة: محمود كبيبو، لندن ٢٠٠٧.
- أوبنهايم (ماكس): *من البحر المتوسط إلى الخليج: لبنان وسوريا* ، ترجمة: محمود كبيبو، لندن ٢٠٠٨.
- أوتينج (يوليوس): *رحلة داخل الجزيرة العربية*، ترجمة: سعيد بن فايز ،الرياض١٩٩٩.
- أويتنج (يوليوس): *رحلة داخل الجزيرة العربية*، ترجمة: سعيد السعيد، الرياض ١٩٩٩.
- البادي (عوض): *الرحالة الأوروبيون في شمال الجزيرة العربية (منطقة الجوف ووادي السرحان) ١٨٤٥-١٩٢٢* ، بيروت ٢٠٠٢.
- باديا (دومنجو): *رحلة إسباني في الجزيرة العربية رحلة دومنجو باديا (علي باي العباسي) إلى مكة المكرمة سنة ١٢٢١هـ/ ١٨٠٧م*، ترجمة: صالح بن محمد السيدي، الرياض ٢٠٠٨.
- بدول (روبن): *الرحالة الغربيون في الجزيرة العربية*، ترجمة: عبد الله أدم نصيف، الرياض ١٩٨٩.
- محرر مجلة لغة العرب "الأب جوزيف بوشان"، **مجلة لغة العرب**، الجزء الثامن من السنة ٦ (آب ١٩٢٨).
- بيرغوين (إليزابيث): *جيرترود بيل من أوراقها الشخصية ١٩١٤-١٩٢٦* ، ترجمة: نمير مظفر بيروت ٢٠٠٢.
- بيل (المس): *العراق في رسائل المس بيل ١٩١٧-١٩٢٦* ، ترجمة: جعفر خياط، بيروت ٢٠٠٣.
- تشب (ماري):***مدينة في الرمال، قصة اكتشاف حاضرة إشنونا السومرية***، ترجمة: وفاء الذهبي، أبو ظبي ٢٠١١.
- جبر (يحيى): *شمال شبه الجزيرة العربية في مصنفات الرحالة*." *في كتاب دارة الملك عبد العزيز: الرحلات إلى شبه الجزيرة العربية*، ج١، دارة الملك عبد العزيز، الرياض ٢٠٠٠.
- جيمس (كلوديوس): *رحلة ريج المقيم البريطاني في العراق عام ١٨٢٠ إلى بغداد وكردستان وإيران*، ترجمة: بهاء الدين نور، بيروت ٢٠٠٨.
- حجر (جمال): *الرحالة الغربيون في المشرق الإسلامي في العصر الحديث*، الإسكندرية: ٢٠٠٨.
- حمدان (عبد الحميد): *طبقات المستشرقين*، القاهرة: د. ت.
- الدجيلي (كاظم): *السائح الغربي في العراق العربي*، مجلة لغة العرب، الجزء ٧ (١٩١٤).
- درور (الليدي): *على ضفاف دجلة والفرات*، ترجمة: فؤاد جميل، لندن ٢٠٠٨.
- ديللافاليه (بترو): *رحلة ديللافاليه إلى العراق مطلع القرن السابع عشر*، ترجمة: بطرس حداد، بيروت ٢٠٠٦.
- ديولافوا (جين): *رحلة مدام ديولافوا من المحمرة إلى البصرة وبغداد ١٨٨١م/ ١٢٩٩هـ*، ترجمة: علي البصري، بيروت ٢٠٠٧.
- ذهني (إلهام): *فرنسا والخليج من منتصف القرن الثامن عشر حتى بدايات القرن العشرين*، القاهرة ١٩٩٣.
- ريفادينيرا (أدولفو): *من سيلان إلى دمشق*، ترجمة: صالح علماني، دمشق ٢٠٠٩.
- الزركلي (خير الدين): *الأعلام: قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين*، الجزء الثاني، بيروت ١٩٦٩.
- السنجري (عمار): *البدو بعيون غربية*، الدار البيضاء ٢٠٠٨.
- سيوفي (نيقولا): *رحلة نيقولا سيوفي ١٨٧٣* ، تحقيق: تيسير خلف، دمشق ٢٠٠٩.
- سيوفي (نيقولا): مجموع *الكتابات المحررة في أبنية مدينة الموصل*، تحقيق: سعيد الديوجي، بغداد ١٩٥٦.
- الشيباني (محمد): *أهداف الرحالة الغربيين في الجزيرة العربية*". *في كتاب دارة الملك عبد العزيز: الرحلات إلى شبه الجزيرة العربية*،ج١، دارة الملك عبد العزيز، الرياض ٢٠٠٠.
- صابان (سهيل): *تصاريح السفر للرحالة المستشرقين إلى الجزيرة العربية من خلال الوثائق العثمانية*، مجلة مكتبة الملك فهد الوطنية، المجلد ٩، العدد ١ (٢٠٠٣).

- الصياد (محمد): *الرحالة الأجانب في الجزيرة العربية قبل القرن التاسع عشر*، مجلة الدارة، العدد الثالث (١٩٧٧).
- العزاوي (عمر): *علم الآثار في العراق نشأته وتطوره*، بيروت ٢٠١٣.
- العنزي (عبد العزيز): *رحلة أويتنج من الشمال وحتى مدائن صالح*، مجلة ترحال، العدد ٥٨ (٢٠١٥).
- غازي (علي): *الخط العربي في كتابات الرحالة الغربيين*."*كتاب المجلة العربية* ٢٥٢ ، الرياض ٢٠١٧.
- غازي (علي): *الخط العربي: ذاكرة جمالية ومعين للباحثين من كتابات الرحالة يوليوس أويتنج*، مجلة ومضات، العدد ٢٦ (٢٠١٦).
- غازي (علي): ***الصراع الأجنبي على العراق والجزيرة العربية في القرن التاسع عشر***، بيروت ٢٠١٥.
- غازي (علي): *كتابات الرحالة مصدر تاريخي*."*كتاب المجلة العربية* ٢٦٢ ، الرياض ٢٠١٨.
- غازي (علي): *مكتبة الإسكندرية قديمًا وحديثًا*، مجلة التسامح، العدد ٢٨ (٢٠٠٩).
- فولني (س. ف): *ثلاثة أعوام في مصر وبر الشام*، ترجمة: إدوار البستاني، بيروت ١٩٤٩.
- قاشا (سهيل): *الموصل في مذكرات الرحالة الأجانب خلال الحكم العثماني*، بغداد ٢٠٠٩.
- ليدي بيل: *رسائل جيرترود*.
- المالح (رشا): *المتاحف تكسر دورها التقليدي وتواكب العولمة*، صحيفة البيان، (١٧ أبريل ٢٠١١).
- منصور (محمد): *أدب الرحلات النبيلة*، الرياض ٢٠١١.
- نيبور (كارستن): *رحلة نيبور إلى العراق في القرن الثامن عشر*، ترجمة: محمود حسين الأمين، بغداد ١٩٦٥.
- هوبير (شارل): *رحلة في الجزيرة العربية الوسطى ١٨٧٨-١٨٨٢*، ترجمة: إليسار سعادة، بيروت ٢٠٠٣
- هورخرونيه (سنوك)*:صفحات من تاريخ مكة المكرمة*، ترجمة: محمد السرياني،الجزء ا، الرياض ١٩٩٩
- يوسف (شريف): *إكتشافات الرواد والرحالين الغربيين في شبه الجزيرة العربية وأثر العرب في علم الجغرافية*، مجلة المورد، المجلد ١١، العدد الثاني (١٩٨٢).
- Euting (Julius): *Tagbucheinerreise in Inner Arabien*, Leiden 1896.
- James (Claudius): *Memoir on the Ruins of Babylonin1818*, London 1818.
- James (Claudius): *Narrative of A journey to the site of Babylon in 1811*, London 1813.
- James (Claudius): *Narrative of A residence in Kurdistan*, 2 Vols, London 1826.